مميزات صحيح مسلم ومنهجه وتفضيله:-

مميزات صحيح مسلم :

نجد كثير من أهل العلم أعجب بصحيح مسلم غاية الإعجاب ، ذلك بسبب حسن ترتيبه وتلخيصه لطرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان ، واحترازه أيضاً من التحول في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة ولا نقصان ، وتنبيه على ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو اسناد ولو في حرف .

نجده مثلا . رحمه الله . يعني عناية تامة بالتنبيه على الروايات المصرحة بالسماع ، وينتقيها انتقاء ، وذلك تلافياً منه للكلام في الإسناد المعنعن ، سواء كان ذلك الراوي الذي ورد التصريح منه بالسماع مدلساً أم غير مدلس ، فإن كان موصوفاً بالتدليس ، فلا شك أن مسلماً رحمه الله يحرص أكثر ، ويحرص أيضاً حتي لو لم يكن الراوي موصوفاً بالتدليس .

وليس أدل على هذا من أول حديث في صحيحه وهو حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في مجيء جبريل إلى النبي ، فإنه في هذا الحديث . لو طالعتموه في صحيح مسلم . تجدوه يقول : " قال فلان : حدثنا ... " وانتقى هذه الرواية ، جاء بالحديث من أكثر من إسناد ، ثم انتقى ذلك الإسناد الذي صرح فيه بالسماع .

حسن ترتيبه . رحمه الله تعالى . :

وبالنسبة لحسن ترتيبه فإنه . رحمه الله . من جوانب التفضيل لكتابه على غيره من الكتب قالوا : إنه ليس فيه سوى الحديث السرد ، أي أنه لم يمزج حديث النبي بغيره ، وكأنهم يشيرون الى صنيع البخاري رحمه الله ، حينما مزج مع الحديث ما ورد عن الصحابة وعن التابعين وبعض الكلام الذي يذكره من عنده ، كل ذلك بسبب ما يلجئه إليه فقه الحديث ، ولكن مسلماً . رحمه الله . لم يصنع من ذلك شيئاً .

عدم تبويب الإمام مسلم لكتابه :

...بل إنه لم يبوب كتابه فهو . رحمه الله . ساق الأحاديث بناء على الترتيب الفقهي ، ابتداء بكتاب الإيمان ثم الطهارة ، ثيم الصلاة ، وهكذا لكنه لم يبوب ، لم يقل : باب كذا وكذا ، بل هذا التبويب إنما بوبه بعض الشراح لصحيحه ، وبعض المستخرجين ، وبعض الملخصين .

فلو نظرنا إلي التبويب الموجود بين أيدينا ، وإذا به تبويب الإمام النووي . رحمه الله . ولا شك أنه تبويب فيه شيء من الطول ، وفي نظري أن تبويب القرطبي في شرحه لصحيح مسلم ، وفي تلخيصه لصحيح مسلم ، فإنه لخص صحيح مسلم ، فإنه لخص صحيح مسلم في كتاب جرد الأحاديث من الأسانيد وبوب عليها تبويباً جيداً بديعاً وشرح هذا التلخيص . ولو نظرنا في هذا التبويب عند القرطبي نجده أجود من تبويب النووي ، وفي بعض الأحيان نجد أن القرطبي . رحمه الله . يتأثر أحياناً بتبويب أبي نعيم في مستخرجه ، فإني في أثناء المطالعة وجدت أن القرطبي يأخذ أحياناً التبويب لأبي نعيم في المستخرج فيضعه عنواناً لذلك الباب الذي يبوب عليه أو الذي يبوب به .

أسباب تفضيل صحيح البخاري على مسلم عند الجمهور :

حصل هناك اختلاف في تفضيل صحيح مسلم على البخاري او العكس ، وجمهور المحدثين يفضلون صحيح البخاري على مسلم في الجملة لعدة أسباب منها:

1. صحة الأحاديث عند البخاري ، فإنها اصح من الأحاديث عند مسلم ، وهذا من حيث العدد في الجملة ، وإلا هناك أحاديث يتفق البخاري ومسلم على إخراجها ، ولكنهم نظروا الى شرط البخاري في الصحة وإذا به أقوى من شرط مسلم .

2. عدد الأحاديث المتكلم فيها عند البخاري اقل من عدد الأحاديث المتكلم فيها عند مسلم .

3. عدد الرجال الذين تكلم فيهم ممن أخرج لهم مسلم أكثر من عدد الرجال الذين تكلم فيهم ممن أخرج لهم مسلم أكثر من عدد الرجال الذين تكلم فيهم ممن أخرج لهم البخاري . وهذا من حيث جوانب عامة دعت المحدثين الى أن يفضلوا صحيح البخاري على صحيح مسلم .

4. هذا بالإضافة الى من يلتفت الى الناحية الفقهية فإنه يرى أن صحيح البخاري أحسن من صحيح مسلم ، والسبب أن البخاري ـ رحمه الله ـ مزج الحديث بالفقه فأصبح كتابة هذا حديثاً وفقها في آن واحد.

تفضيل المغاربة لصحيح مسلم على البخاري :

لكن بعض المغاربة يفضل صحيح مسلم على صحيح البخاري ، وكذلك وردت عبارة عن أبي على النيسابوري ـ رحمه الله ـ من المشارقة أنه فضل صحيح مسلم أيضاً، ولكن هل هذا التفضيل يقتضي التفضيل في الأصحية أو التفضيل في أمور أخرى خارجة عن حيز الصحة ؟ بعضهم فهم أن التفضيل يشمل حتى الأصحية ، وهذا الكلام تهافت لا يشك إنسان له إلمام بعلم الحديث في أن أحاديث البخاري أصح من أحاديث مسلم ، وكما قلت : في الجملة .

ولكن من حيث الجوانب الأخرى قد يفضل بعض الناس صحيح مسلم على صحيح البخاري بسببها ، فمن ذلك مثلاً ما ذكره التجبي عن ابن حزم ـ رحمه الله ـ أنه فضل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، وذكر السبب فذكر : أن مسلماً رحمه الله ليس في كتابه سوى الحديث السرد ، بعد المقدمة ، قالوا : إذا هو يمزج أحاديث النبي بغيرها .

2... كما ان من جوانب التفضيل جمع مسلم رحمه الله لطرق الحديث مكان واحد ، وليس كالبخاري الذي يفرق هذه الطرق في أماكن متعددة وكما قلت سابقاً : إنها قد تصل الى أكثر من عشرين موضعاً بسبب ما ينتزعه من ذلك الحديث من فقه ، فنجد أنه يقطع الحديث ، ربما أورده في الصلاة ثم الطهارة ، ثم في الزكاة ، ثم في الحج ، ثم في الصيام ، ثم في غير ذلك من الأسلوب ، وفي كل باب نجده يأخذ من الحديث ناحية فقهية ويودع ذلك الحديث في ذلك الباب لهذا السبب .

أما مسلم فلا يصنع ذلك في الغالب جداً ، قد يقع عنده في بعض الأحيان حديث مكرر في موضعين تقريباً مثل حديث ابن عباس في الأشربة في وفد عبد القيس حينما قدموا ، فإنه كرره في موضع آخر ، ولكن هذا قليل جدا عند مسلم . رحمه الله . والقلة النادرة لا يبني عليها شيء ، ولا يقاس عليها ، ولا يعتبر لها حكم .

فإذا الحكم الغالب لما في صحيح مسلم من الأحاديث : أن مسلماً . رحمه الله يجمع جميع طرق الحديث ويجمعها في المكان الأليق بها ، فإذا وجد أن معظم مادة ذلك الحديث يمكن أن تجعل في كتاب الطهارة ، جعلها في كتاب الطهارة ، حتي وإن كان فيه بعض المواضع التي يمكن أن يستفاد منها في كتاب الصلاة ، وفي غير ذلك من الأبواب ، فلا نجده يودعه في تلك المواضيع ، وإنما يجعلها في أليق المواضيع بذلك الحديث .

...3. ثم إنه يعنى بالطرق في ترتيبها ، فنجد أنه يقدم الطريق التي فيها أصحية ، ويقدم الطريق التي فيها إجمال ، ثم يرد فها بالطريق المبينة لها ، ويقدم الطريق المنسوخة ثم يأتي بعد ذلك بالطريق الناسخة ، هلم جرا.

ومن حسن ترتيبه وطريقته في السياق جعلت بعض العلماء يفضلونه على كتاب البخاري . ...

4. كما أن من جوانب التفضيل في هذا الموضع : أنه . رحمه الله . يعني بالمتون عناية فائقة ، فتجد أنه يتحرى ويتحرز في فروق الألفاظ ، فيقول : قال فلان كذا ، وقال فلان كذا . ...

وحتى في الأسانيد تجد أنه أحياناً يقول : قال فلان : حدثنا ، وقال فلان أخبرنا ، وذلك لتفريقه . رحمه الله . بين حدثنا وأخبرنا ، وأما البخاري رحمه الله فلا يعنى بهذا ، ولعل البخاري يرى التسوية بين حديثا وأخبرنا ، وهذا فيما يظهر من صنيعه في كتاب العلم ، أما مسلم . رحمه الله . فيرى التفريق بين حدثنا وأخبرنا .

الفرق بين حدثنا وأخبرنا :

...المحدثون يفرقون في طريقة التلقي بين ما تلفظ به السيخ ، وبين ما قرئ على الشيخ ، فإذا كان الشيخ يحدث سواء من حفظه ، أو من كتابه ، ويقرأ على التلاميذ ، وهم ينسخون الأحاديث التي يحدثهم بها . هذا يقال له : (السماع) ، وهو الذي يعبرون عنه (بحدثنا أو حدثني) .

فإن كان الطالب تلقي ذلك الحديث في مجلس مثل هذا المجلس فإنه يأتي بصيغة الجمع : (حدثنا) لكونه تلقى الحديث مع جماعة آخرين . وإن كان تلقاه من الشيخ بمفرده قال : (حدثني) يعني على انفراد